

عبد الله بن عباس
ايماًناً و جهاداً و علماً
محسن الأسيدي

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم. كنيته أبو العباس وقيل أبو عبد الرحمن. لقبه الهاشمي والقرشي. شهرته حبر الأمة. أمه أم الفضل أخت ميمونة زوج النبي ﷺ. اسمها لبابة الصغرى الهلالية^(١) بنت الحارث بن حزن من بني عامر بن صعصعة. في السنة الثالثة قبل الهجرة^(٢) المباركة جاء العباس عم النبي ﷺ وهو يحمل وليده في خرقة متجهاً به نحو النبي ﷺ ليضعه بين يديه المباركتين فضمه اليه وحنكه بريقه^(٣). كان ذلك أيام كان رسول الله ﷺ وأهل بيته وصحبه محاصرين بالشعب، شعب بني هاشم في مكة^(٤). توفي رسول الله ﷺ وابن عباس ابن ثلاث عشرة سنة. يقول عن نفسه: راهقت الاحتلام في حجة الوداع.

صفة ٤:

كان ابن عباس أبيض طويلاً مشرباً صفرة جسيماً وسيماً صبيح الوجه له



وفرة يخضب بالحناء. هذا ما وصفه به ابن مندة. أما ما قاله أبو إسحاق:
 رأيتُ ابن عباس رجلاً جسيماً قد شاب مقدم رأسه وله جُمَّة (٥). وكان إذا
 قعد أخذ مقعد الرجلين، وكان يخضب بالسواد، ويسمى الحبر والبحر لكثرة
 علمه وحدة فهمه (٦).

من دعاء رسول الله ﷺ له:

- اللهم أعطه الحكمة وعلمه التأويل.
- اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.

ومما قال رسول الله ﷺ له: «يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟
 احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في
 الشدة، إذ سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جفّ القلم بما هو
 كائن إلى يوم القيامة، ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئاً لم يكتبه الله عزّ وجلّ
 لك لم يقدرُوا عليه، وعلى أن يمنعوك شيئاً كتبه الله عزّ وجلّ لك لم يقدرُوا عليه،
 فاعمل لله تعالى بالرضا في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً،
 وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً» (٧).

قالوا فيه:

قال الإمام علي عليه السلام فيه: إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته.
 خطب ابن عباس وهو على الموسم، فجعل يقرأ ويفسر، فقال رجل: لو
 سمعت فارس والروم لأسلمت. وعندما قرأ ابن عباس سورة النور وجعل
 يفسرها قال فيه الخليفة الثاني عمر: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت. ذاكم فتى
 الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول.

قال فيه ابن عمر: لقد أوتي ابن عباس علماً صدقاً.
 عن عطاء: ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس وأكثر فقهاً، وأعظم
 خشية، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده،
 يصدرهم كلهم من وادٍ واسع.
 وعن مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجهل الناس؛ فإذا نطق
 قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس.^(٨)

من أقواله في نفسه:

عن عبدالله بن بريدة، قال: شتم رجل ابن عباس، فقال: إنك لتشتمني وفيّ
 ثلاث: إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه، ولعلي لا
 أقاضي عليه أبداً. وإني لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به
 ومالي به سائمة ولا راعية. وإني لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن
 المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم.^(٩)

من حكمه وأقواله:

- مفهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا.
 - ذكّلت طالباً فعززت مطلوباً.
 - ومن أقواله الدقيقة والجميلة في الغوغاء... والغوغاء: الدّبا وهي صغار
 الجراد، وشبّه به سوادُ الناس. قال فيهم بعد أن ذكر الغوغاء عنده: ما اجتمعوا قط
 إلا ضُرُّوا، ولا افترقوا إلا نفعوا. قيل له: قد علمنا ما ضُرَّ اجتماعهم، فما نفع
 افتراقهم؟ قال: يذهب الحجاج إلى دكانه، والحدّاد إلى أكياره، وكل صانع إلى
 صناعته.



- وفي فضل الصداقة على القرابة قال: القرابة تقطع والمعروف يُكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.

- لا تحقرن كلمة الحكمة أن تسمعها من الفاجر... ربّ رمية من غير رام.

- لا تمار سفيهاً ولا حليماً فإنّ الحليم يغلبك والسفيه يزدريك.

- اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، ودع منه ما تحب أن

يدع عنك.

- الدنيا العافية، والشباب الصحة.

- من لم يجلس في الصغر حيث يكره، لم يجلس في الكبر حيث يجب.

وله قول في الشعر: الشعر علم العرب وديوانها؛ فتعلموه، وعليكم

بشعر الحجاز.

وكان ابن العباس في طريقه من البصرة الى الكوفة يحدو الأبل ويقول:

أوبي إلى أهلك يارباب أوبي فقد حان لك الإيابُ

وقال لما كفّ بصره:

إن يأخذ الله من عيني نورهما فني لساني وقلبي منهما نورُ

قلبي ذكيّ وعقلي غير ذي دخلٍ^(١٠) وفي فمي صارم كالسيف مأثور

ومن طريف أقواله:

أصيبت إحدى عينيّه فنحل جسمه، فلما أصيبت الأخرى عاد إليه لحمه،

فقليل له في ذلك، فقال: أصابني ما رأيت في الأولى شفقةً على الأخرى، فلما ذهبنا

اطمأن قلبي^(١١).

ما قيل فيه من شعر:

قال فيه حسان بن ثابت^(١٢):

كفى وشفى ما في الصدور ولم يدع
سموت إلى العليا بغير مشقة
إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه
إذا قال لم يترك مقالاً لقائل
لذي إريية في القول جدّاً ولا هزلاً
فنبلت ذراها لا دنياً ولا وغلاً
رأيت له في كلّ مجمه فضلاً
بملتقطات لا ترى بينها فصلاً
وفي كتاب المجلس للمعافي من طريق ابن عائشة عن أبيه: نظر الحطيئة إلى
ابن عباس في مجلس عمر وقد فرع بكلامه، فقال: من هذا الذي نزل عن القوم
بسنة، وعلاهم في قوله؟

قالوا: هذا ابن عباس، فأنشأ يقول:

إني وجدتُ بيان المرء نافلاً
المرء يبلى ويبقى الكلم سائراً
وقال فيه معاوية^(١٣):
إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف
يُصرف بالقول اللسان إذا انتحى
يهدي له ووجدت العي كالصم
وقد يُلامّ الفتى يوماً ولم يلم
لعي ولم يثن اللسان على هجر^(١٤)
وينظر في أعطافه نظر الصقر

من وصاياهم:

عن عكرمة قال سمعت عبد الله بن عباس يقول لابنه علي بن عبد الله:
ليكن كنزك الذي تذخره العلم، كن به أشدّ اغتباطاً منك بكنز الذهب الأحمر،
فإني مودعك كلاماً إن أنت وعيتته أجمع لك به أمر الدنيا والآخرة.
لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، ويقول
في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي فيها لم يشبع، وإن
منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، وبيتغي الزيادة فيما بقي، ويأمر بما لا يأتي،
يحبّ الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض الجاهلين وهو أحدهم...^(١٥)



حياته:

كان ابن العباس في طفولته برعماً من البراعم الإيمانية، التي ارتوت من ينبوع الرسالة العذب، فقد احتضنته المدرسة النبوية صغيراً، وتربى في كنفها تزقه العلم والأدب والأخلاق. لتجعل منه عالماً مجاهداً في شبابه وكهولته من أجل المبدأ والعقيدة، ومثلاً إيمانياً رائعاً يقتدي به الآخرون.

إن من المعالم الشاخصة في حياة ابن عباس: العقيدة الراسخة، والمؤهلات النادرة التي منها عقليته المتزنة، وذكاؤه الحاد، وحافظته المبكرة، فغدا بكل هذا عالماً ملئت كتب التفسير والحديث والتاريخ بآرائه ورواياته ومحاوراته. كما أن شجاعته تشكل هي الأخرى معلماً واضحاً في شخصيته، جعلته يؤدي واجبه الجهادي في ميادين القتال على خير ما يؤدي الشجاع واجبه القتالي، ناهيك عن لباقتة وسرعة بديهته وقدرته العجيبة على المحاوراة السياسية والمناظرة العلمية، التي قلّ مثلها، والتي تكشف عن علم واسع، ومعرفة دقيقة، وخبرة عميقة، وحجة قوية يتصف بها الرجل. كما أن صفتي الأناة والحلم كانتا من مميزات ابن عباس، فالشجاعة هذه الصفة التي تدعو إلى الإقدام والاندفاع قد يتصف بها كثيرون لكنها إذا ما تعانقت مع صفتي الحلم والأناة تكون صفة عظيمة محمودة، وتدل بالتالي على كمال النفس وعظمتها وعلو همتها، وهذا ما كان لابن عباس. ففي الوقت الذي كان فيه رجل سياسة وبطل حوار، وصاحب بصيرة ورأي ونظر، كان رجل حرب؛ لهذا نرى الإمام علياً عليه السلام قد اتخذه وزيراً له وقائداً ميدانياً يقود جبهة من جبهات القتال حينما تشد ضراوة المعارك، فميسرة الجيش في حرب صفين كانت له قاتل فيها قتالاً شديداً، وفي معركة الجمل كان على مقدمة جيش الإمام علي عليه السلام وهكذا في النهروان..

يرمي به الإمام عليه السلام مقاتلاً كما يرمي به محاوراً سياسياً بارعاً، ففي وقعة

صفيين حينما لم يكن بدُّ من التحكيم، انظر كيف يصفه الإمام عليه السلام:
 (إن معاوية لم يكن يضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو
 بن العاص... فعليكم بعبد الله بن عباس فارموه به؛ فإن عمراً لا يعقد عُقدة إلا
 حلّها عبد الله، ولا يحلّ عُقدة إلا عقدها، ولا يبرم أمراً إلا نقضه ولا ينقض أمراً
 إلا أبرمه) (١٦).

وفي كلام آخر له في شأن الحكّمين قال... فادفعوا في صدر عمرو بن
 العاص بعبد الله ابن عباس. وفي هذا يقول ابن أبي الحديد: يُقال هذا لمن يرام كفه
 عن أمر يتناول له: ادفع في صدره، وذلك لأن من يقدم على أمر يبذنه فيدفع دافع
 في صدره حقيقة فإنه يردّه أو يكاد، فنقل ذلك الى الدفع المعنوي.

هذا في حربه وسياسته وأما في محاوراته فقد جرت بينه وبين الخليفة الثاني
 وعائشة والزبير وطلحة ومعاوية ويزيد وعتبة بن أبي سفيان وعمرو بن العاص،
 ومروان بن الحكم وعبد الرحمن بن الحكم وزياد بن أبيه وابن الزبير والمغيرة
 وغيرهم جرت بينه وبينهم مناظرات واحتجاجات كثيرة، كانت له الحجة
 عليهم. ومن جميل مناظراته وهي كثيرة، هذه التي جرت بينه وبين الخليفة الثاني:
 قال عمر يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟ فكرهت أن
 أجيئه. فقلت: إن لم أكن أدري فأمر المؤمنين يدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجّحوا على قومكم
 بجحاً بجحاً، فاخترت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت.

فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمتُ.

فقال تكلم يا ابن عباس:

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اخترت قريش لأنفسها فأصابت
 ووفقت، فلو أن قريشاً اخترت لأنفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها لكان



الصواب بيدها غير مردود ولا محسود. وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عزّ وجلّ وصف قومًا بالكراهية فقال:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (١٧)

فقال عمر، هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت كرهت أن أقرّك عليها فتزِيل منزلتك مني.

فقلت: وماهي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقًا فما ينبغي أن تزِيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فثلي أَمَاط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً.

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً فإن إبليس حسد آدم ونحن ولده المحسودون (١٨).

ومن محاوراته التي استطاع بها أن يلقي الحجة على الخوارج فعاد منهم ألفا رجل وبقي أربعة آلاف على عنادهم:

لما أعلن الخوارج حربهم على علي عليه السلام، وقبل أن يحاربهم وجه إليهم عبد الله بن عباس، فلما صار إليهم رحّبوا به وأكرموه...

قالوا: ما جاء بك يا ابن عباس؟

قال: جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمّه، وأعلمنا برّبّه وسنة نبيّه، ومن عند المهاجرين والأنصار.

فقالوا: إنا أتينا عظيماً حين حكّمنا الرجال في دين الله؛ فإن تاب كما تُبنا، ونهض لمجاهدة عدوّنا رجعنا.

فقال ابن عباس: نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم، وفي شقاق رجل وامرأته؟

فقالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله ﷺ أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحُدَيْبِيَّةِ؟

قالوا: نعم، ولكن علينا محامسة من خلافة المسلمين.

قال ابن عباس: ليس ذلك يزيلها عنه وقد محامس رسول الله ﷺ اسمه من النبوة، وقال سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: لو علمتُ أنك رسول الله ما حاربتك، فقال للكاتب: اكتب «محمد بن عبد الله». وقد أخذ عليٌّ على الحكمين ألا يجورا، وإن يجورا فعليٌّ أولى من معاوية وغيره.

قالوا: إن معاوية يدعي مثل دعوى عليٍّ.

قال: فأيهما رأيتموه أولى فولّوه.

قالوا: صدقت.

قال ابن عباس: ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما. فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف (١٩).

كما أن من معالم شخصيته أنه كان أديباً شاعراً وخطيباً بليغاً، فبعد أن أنهى الإمام عليّ خطبته قبل معركة صفين محرضاً أصحابه على القتال، قام ابن عباس خطيباً يبين أحقية عليّ وجهته وباطل معاوية وجهته في كلام بليغ جميل يدل على عمق إيمانه وعظيم بيانه وسعة معرفته ودقة وعيه، وأنه على بصيرة من أمره: الحمد لله رب العالمين، الذي دحا تحتنا سبعاً، وسمك فوقنا سبعاً؛ ثم خلق فيما بينهنّ خلقاً، وأنزل لنا منهنّ رزقاً، ثم جعل كلّ شيء يبلى ويفني غير وجهه، الحيّ القيوم الذي يحيا ويبقى. ثم إن الله بعث أنبياء ورسلاً فجعلهم حججاً على عباده، عُذراً أو نُذراً، لا يطاع إلا بعلمه وإذنه، يمين بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها، ويعصى [بعلم منه] فيعفو ويغفر بحلمه، لا يقدر قدره، ولا



يبلغ شيء مكانه، أحصى كل شيء عدداً، وأحاط بكل شيء علماً. ثم إني أشهد
 ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه،
 إمام الهدى والنبي المصطفى. وقد ساقنا قدر الله إلى ما ترون، حتى كان فيما
 اضطرب من حبل هذه الأمة وانتشر من أمرها، أن ابن آكلة الأكباد قد وجد من
 طعام أهل الشام أعواناً على علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله وصهره، وأول
 ذكر صلى معه، بدرى قد شهد مع رسول الله صلى الله عليه كل مشاهده التي فيها
 الفضل. ومعاوية وأبو سفيان مشركان يعبدان الأصنام. واعلموا والله الذي ملك
 الملك وحده فبان به وكان أهله، لقد قاتل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى
 الله عليه، وعلي يقول: صدق الله ورسوله. ومعاوية وأبو سفيان يقولان: كذب الله
 ورسوله. فما معاوية في هذه بأبر ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في قتالكم.
 فعليكم بتقوى الله والجد والحزم والصبر، وإنكم لعلى الحق وإن القوم لعلى
 الباطل. فلا يكونن أولى بالجد في باطلهم منكم في حقكم. أما والله إنا لنعلم أن الله
 سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم. اللهم ربنا أعنا ولا نخذلنا، وانصرنا على
 عدونا ولا تخل عنا، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. والسلام
 عليكم ورحمة الله وبركاته أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم. (٢٠)

قال معاوية لعمر بن العاص: إن رأس الناس بعد علي هو عبد الله بن
 عباس، فلو أقيمت إليه كتاباً لعلك ترفقه به، فإنه إن قال شيئاً لم يخرج علي منه،
 وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل إلى العراق إلا بهلاك أهل الشام. قال عمرو: إن
 ابن العباس لا يُخدع، ولو طمعت فيه لطمعت في علي فقال معاوية: علي ذلك،
 فاكتب إليه كتاباً في ذلك وكتب في أسفله شعراً، كان أوله:

طال البلاء وما يرجى له أس بعد إله سوى رفق ابن عباس
 فلما قرأ ابن عباس الكتاب أتى به علياً فأقرأه شعره فضحك وقال: «قاتل

الله ابن العاص، ما أغراه بك يا ابنَ عباس، أجبه..»

فكتب ابن عباس (... وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي، ابتدأها عليُّ بالحق وانتهى فيها الى العذر، وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها الى السرف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام. بايع أهل العراق علياً وهو خير منهم، وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه. ولست أنا وأنت فيها بسواء أردتُ الله وأردتُ أنت مصر... فإن ترد شرّاً لا نسبقك به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه) (٢١).

ومن شعره الذي ردّ فيه عليّ ابن العاص حين خدع أبا موسى الأشعري في

قصة التحكيم:

كذبت ولكن مثلك اليوم فاسقٌ	عليّ أمركم ببغي لنا الشرّ والعزلا
وتزعم أن الأمر منك خديعةٌ	إليه وكلّ القول في شأنكم فضلاً
فأنتم وربّ البيت قد صار دينكم	خلافاً لدين المصطفى الطيب العدل
أعاديتهم حبّ النبيّ ونفسه	فما لكم من سابقاتٍ ولا فضلاً
وأنتم وربّ البيت أخبت من مش	على الأرض ذانعين أو حافياً رجلاً
غدرتم وكان الغدر منكم سجيّةً	كأن لم يكن حرثاً وان لم يكن نسلًا (٢٢)

إن أعمال الرجل ومواقفه وخطبه وكتبه وأشعاره، التي تجلّى فيها ولاؤه المخلص والصادق للإمام عليّ عليه السلام بقدر ما جعلته أقرب الناس الى عليّ وآثرهم عنده، جعلته عرضة للإتهام والطعن لا لشيء إلا بسبب تلك المواقف وذلك الولاء الذي شهد به الأعداء فضلاً عن الأصدقاء، ولأء متين ثابت نابع من (علي مع الحق والحق مع علي). فهو إذن وليد العقيدة الحقّة.

دقته العلمية:

لقد كان ابن عباس دقيقاً فيما ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفيما يقول وي طرح



من آراء. يراجع ما يسمعه مرات قبل أن ينقله، لهذا فقد اتسم عمله العلمي بالدقة والحرص، وكان يبذل قصارى جهده لطلب العلم والحقيقة، ويسعى بكل تواضع بين الصحابة يسأل ويتحقق حتى يتأكد من أي رواية يريد نقلها عن رسول الله ﷺ. لئلا ينقل حديثاً موضوعاً أو مكذوباً على رسول الله ﷺ. حتى ورد عنه: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ. إن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فأتي إليه وهو قائل في الظهيرة، فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح عليّ من التراب، حتى ينتهي من مقيله، ويخرج فيراني، فيقول يا ابن عمّ رسول الله ما جاء بك؟ هلاً أرسلت إليّ فأتيك..؟ فأقول، أنت أحقّ بأن أسعى إليك، فأسأله عن الحديث وأتعلم منه!.

ابن عباس مفسراً:

يُعد ابن عباس من كبار المفسرين، بل هو الثاني بعد عليّ ﷺ فقد قال ابن عطية «وكان جلّة من السلف كثير عددهم يفسرون القرآن، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عنه، فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد الله بن عباس وهو تجرّد للأمر وكمله، وتبعه العلماء عليه... (٢٣).

قال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فن علي بن أبي طالب. وكان عليّ رضي الله عنه يثني على تفسير ابن عباس ويخصّ على الأخذ منه، وكان... يقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس. وقال عنه عليّ رضي الله عنه: «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».. ويتلوه عبد الله بن مسعود... (٢٤)

هذا ما ذكره القرطبي، وأما ما ذكره السيوطي (٢٥) عن ابن عباس: وأما ابن عباس فهو ترجمان القرآن الذي دعا له النبي ﷺ: «اللهم فقّهه

في الدين وعلمه التأويل»

وعن مجاهد قال: قال ابن عباس: قال لي رسول الله ﷺ: «نعم ترجمان القرآن أنت». وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن مسعود، قال: «نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس».

وأخرج عن الحسن، قال: إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل. وعن ابن عمر - حينما بلغه تفسير ابن عباس للآية ﴿.. أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما..﴾ (٢٦) - أنه قال: قد كنت أقول: ما يُعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه أوتي علماً. يقول أحمد أمين عن الإمام علي عليه السلام: .. كان أستاذاً لعبد الله بن عباس أخذ عنه كثيراً (٢٧)

وكان لابن عباس مصحف خاص به ذكره الشهرستاني في مقدمة تفسيره وكان ترتيبه كالتالي:

١	أقرأ...	٢	ن...	٣	والضحى...	٤	المزمل...
٥	المدثر...	٦	الفاحة...	٧	تبّت يدا...	٨	كورت...
٩	الأعلى	١٠	والليل...	١١	والفجر...	١٢	ألم نشرح لك
١٣	الرحمن...	١٤	والعصر...	١٥	الكوثر...	١٦	التكاثر...
١٧	الدين...	١٨	الفيل...	١٩	الكافرون...	٢٠	الإخلاص...
٢١	النجم...	٢٢	الأعمى...	٢٣	القدر...	٢٤	والشمس...
٢٥	البروج...	٢٦	التين...	٢٧	قريش...	٢٨	القارعة...
٢٩	القيامة...	٣٠	الهمزة...	٣١	والمرسلات...	٣٢	ق...
٣٣	البلد...	٣٤	الطارق...	٣٥	القمر	٣٦	ص...
٣٧	الأعراف	٣٨	الجن...	٣٩	يس...	٤٠	الفرقان...



٤١	الملائكة...	٤٢	مريم...	٤٣	طه...	٤٤	الشعراء...
٤٥	النمل...	٤٦	القصص...	٤٧	بنو إسرائيل...	٤٨	يونس...
٤٩	هؤود...	٥٠	يوسف...	٥١	الحجر...	٥٢	الأنعام...
٥٣	الصفات...	٥٤	لقمان...	٥٥	سبأ...	٥٦	الزمر...
٥٧	المؤمن...	٥٨	حم السجدة...	٥٩	حم عسق...	٦٠	الزخرف...
٦١	الدخان...	٦٢	الجاثية...	٦٣	الأحقاف...	٦٤	الذاريات...
٦٥	الغاشية...	٦٦	الكهف...	٦٧	النحل...	٦٨	نوح...
٦٩	إبراهيم...	٧٠	الأنبياء...	٧١	المؤمنون...	٧٢	الرعد...
٧٣	الطور...	٧٤	الملك...	٧٥	الحاقة...	٧٦	المعارج...
٧٧	النساء...	٧٨	والنازعات...	٧٩	انفطرت...	٨٠	انشقت...
٨١	الروم...	٨٢	العنكبوت...	٨٣	المطففون...	٨٤	البقرة...
٨٥	الأنفال...	٨٦	آل عمران...	٨٧	الحشر...	٨٨	الأحزاب...
٨٩	النور	٩٠	المتحنة...	٩١	الفتح...	٩٢	النساء...
٩٣	إذا زلزلت...	٩٤	الحج...	٩٥	الحديد...	٩٦	محمد(ص)...
٩٧	الإنسان...	٩٨	الطلاق...	٩٩	لم يكن...	١٠٠	الجمعة...
١٠١	ألم السجدة...	١٠٢	المنافقون...	١٠٣	المجادلة...	١٠٤	الحجرات...
١٠٥	التحریم...	١٠٦	التغابن...	١٠٧	الصف...	١٠٨	المائدة...
١٠٩	التوبة...	١١٠	النصر...	١١١	الواقعة...	١١٢	والعاديات...
١١٣	الفلق...	١١٤	الناس...				

ابن عباس والوضاعون:

الوضع: الاختلاق. وضع الرجل الحديث: افتراه وكذبه واختلقه (٢٨).
تشير مصادر كثيرة إلى أن وضع الحديث كان في عهد رسول الله ﷺ وفي حياته المباركة، وقد ورد عنه ﷺ النهي عنه (يا أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة، فمن

كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار...).

وللوضع عوامله وأهدافه وطرقه. ومن طرقه اختيار سند ينتهي إلى صحابي جليل يتمتع بوجود محترم بين الصحابة ومكانة كبيرة عند عموم المسلمين وقد يكون ذا مكانة علمية مرموقة ومعروفة، وربما يكون من الذين يستعين به الصحابة في حلّ كثير من المسائل التفسيرية والفقهية، حتى يُعطى للرواية - بكاملها سنداً وامتناً - قوةً وأثراً ومقبولية لدى الآخرين.

لأن «الواضع بدهاة لا يختار لنفاقه إلا الشخصيات الرفيعة من ذوي الشهرة الواسعة لكي تلقى اكدوبته صداها في نفوس الناس بنسبتها إليهم»^(٢٩).

وابن عباس ممن تتوفر فيه هذه الصفات إضافة إلى أنه شخصية علمية فهو ذات رصيد اجتماعي وصاحب دور سياسي مطلع على الأحداث، التي مرت في تاريخ الإسلام والمسلمين، كما أنه من عائلة كريمة اجتمعت فيها صفات النبيل والسخاء والشجاعة. كل هذه الأمور وغيرها جعلت الرجل عرضة للوضع والمبالغة فيه للوصول إلى مآرب سياسية من خلال ذلك، كما صار عرضة للوضع عليه نيلاً منه وتبريراً لأفعال أعدائه واعداء البيت الهاشمي. يقول أحمد أمين: ويظهر أنه وضع على ابن عباس وعليّ أكثر مما وضع على غيرهما. ولذلك أسباب: أهمها أن علياً وابن عباس من بيت النبوة، فالوضع عليهما يكسب الموضوع ثقة وتقديساً لا يكسبهما الإسناد إلى غيرهما... وابن عباس كان من نسله الخلفاء العباسيون، يتقرب إليهم بكثرة المروي عن جدّهم.

ثم يواصل أحمد أمين كلامه فيقول: وقد روي عن ابن عباس ما لا يحصى كثرة، فلا تكاد تخلو آية من آيات القرآن إلا ولا ابن عباس فيها قول أو أقوال. وكثر الرواة عنه كثرة جاوزت الحد...^(٣٠).

كما أن السيد الحكيم يقول:



«لقد ذكرنا في مقدمة كتابنا عن عبد الله بن عباس مختلف العوامل الداعية للوضع له أو عليه في زمنه وبعد زمنه وعلى الأخص فيما دار من ملاحظة بين السلطة العباسية ومناوئها من أئمة الزيدية الراغبين في الحكم، وبالطبع إن هذا الرجل - وهو مصدر من مصادر شرعية سلطة الخلفاء العباسيين، التي استندوا إليها أو بعضهم على الأقل عندما ادعوا لأنفسهم وراثته النبوة وتسلسلها في أعقاب العباس حتى وصلت إليهم - لا بد وأن يرتفع رصيده في نفوس الرأي العام ويغالى فيه إلى درجة تسمو به وترتفع عن سائر البشر المتعارف، فالكرامات مازالت ترافقه منذ ولادته وحتى نهاية حياته، بينما يهبط رصيده في نفوس الخصوم حتى يجرد عن جلّ مواهبه وإمكاناته وخلقته»^(٣١)

لقد تعرض الرجل وهو حبر الأمة لمثل هذه الاختلافات والافتراءات فاسندت له أحاديث وروايات كثيرة - لا يغيب أكثرها عن نباهة المحقق^(٣٢) - حتى ورد عن الإمام الشافعي قوله (لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيهة بمائة حديث)^(٣٣) كما أن علماء التفسير ضعفوا كثيراً من الأسانيد المنتهية إلى ابن عباس حتى وصفها بعضهم بأنها من أوهى الطرق، ضاربين لذلك مثلاً طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقالوا فإذا انضم إلى ذلك محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب^(٣٤) والسدي الكبير وصفوه بأنه ضعيف وكذاب^(٣٥) كما ذكروا مثلاً آخر للوضع كان بطله (نوح الجامع) أبو عصمة نوح بن أبي حريم، قيل له (من أين لك عن عكرمة، عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة؟ فقال إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن، واشتغلوا بفقّه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة^(٣٦)) وفي كلام آخر أقرّ بوضعه على ابن عباس^(٣٧).

كما أن الضحاك بن مزاحم الهلالي روى التفسير عن ابن عباس وهو

لم يلقه (٣٨)

ناهيك عن الإسرائيليات التي لم ينجو منها تراث ابن عباس والتي نشط اليهود في بثها في عموم تراثنا الإسلامي ومن هؤلاء اليهود كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام... مع أن ابن عباس كان دقيق الملاحظة أمين الوصف والرواية واعياً لأفعال هؤلاء ومدى ما تركه على التراث الإسلامي من آثار وقد نهى عن الأخذ منهم، ورد عنه.

«كيف تسألونهم عن شيء، وكتاب الله بين أظهركم» (٣٩)

ووقف موقفاً آخر حازماً إزاء الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات، فقد قال كما أخرجه البيهقي بسنده عن ابن عباس. قال: «إذا حدثتكم بحديث عن رسول الله فلم تجدوا تصديقه في الكتاب، أو هو حسن في أخلاق الناس فإنه كاذب».

ومع هذا فقد زخر تفسيره برواياتهم مما حدى بالذهبي في كتابه (التفسير والمفسرون) وبغيره إلى اتهام ابن عباس بالاطمئنان إليهم والنقل عنهم والاستعانة بهم في تفسيره، لعدم إمكان نفي ماورد في تفسيره من الإسرائيليات لكثرتها.

ونحن نرى تراث ابن عباس وآثاره عند تحققها ودراستها قد احتوت على كثير من الإسرائيليات والأساطير والكرامات والمعاجز المنسوبة له، إضافة إلى ما تعرض له تراثه من أكاذيب واختلاقات مما جعل هذا التراث غامضاً بعض الشيء ومرتبكاً أو مضطرباً في بعضه الآخر، كما أنه مضطرب كثرة وقلة، قال بعضهم - لم يتجاوز عدة أحاديث.

ذكر الآمدي في كتاب الإحكام في أصول الأحكام:

أن ابن عباس لم يسمع من رسول الله ﷺ سوى أربعة أحاديث لصغر



سنه (٤٠).

كما ذكر محمود ابوريه في أضوائه: قال ابن القيم في الوابل الصيب: إن ما سمعه ابن عباس عن النبي ﷺ لم يبلغ العشرين حديثاً: وعن ابن معين والقطان وأبي داود في السنن أنه روى تسعة أحاديث وذلك لصغر سنه. ومع ذلك فقد أسند له أحمد في مسنده ١٦٩٦ حديثاً (٤١).

ومن الروايات المختلفة لأهداف سياسية ما رواه الترمذي عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ دعا للعباس بدعاء قال فيه: «واجعل الخلافة باقية في عقبه».

وكذلك عن ابن عباس: ليكونن الملك - أو الخلافة - في ولدي، حتى يغلبهم على عزهم الحمر الوجوه، الذين كأن وجوههم المجان المطرقة (٤٢).

ابن عباس وبيت مال البصرة:

ما إن انتهت حرب الجمل بانتصار الإمام علي عليه السلام وصحبه علي ناكثي البيعة حتى بادر الإمام إلى تعيين عبد الله بن عباس والياً على البصرة، فقال «يا معاشر الناس! قد استخلفت عليكم عبد الله بن عباس، فاسمعوا له وأطيعوا أمره ما أطاع الله ورسوله، فإن أحدث فيكم أو زاع عن الحق فأعلموني أعزله عنكم؛ فإني أرجو أن أجده عفيفاً تقياً ورعاً، وإني لم أوله عليكم إلا وأنا أظن ذلك به، غفر الله لنا ولكم» (٤٣).

ثم أوصى عبد الله بن عباس بوصاياهم قائلاً:

«يا ابن عباس! عليك بتقوى الله والعدل بمن وليت عليه، وأن تبسط للناس وجهك، وتوسع عليهم مجلسك، وتسعهم بملكك، وإياك والغضب، فإنه طيرة من الشيطان، وإياك والهوى فإنه يصدك عن سبيل الله، واعلم أن ما قربك

من الله فهو مباعدك من النار، وما باعدك من الله فهو مقربك من النار، واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين» (٤٤) كان هذا في سنة ٣٦ هـ (٤٥).

في سنة ٤٠ هـ بدأ أهم حدث في تاريخ هذا الرجل، وبالذات في تاريخ علاقته بالإمام علي عليه السلام فيما يتعلق ببيت مال البصرة وتجاوزه عليه كما زعم. فقد اضطرت أقوال المؤرخين وأراؤهم في هذه المسألة اضطراباً عجيباً، وحقاً ما قاله السيد محمد تقي الحكيم في دراسته حياة ابن عباس حيث يقول (٤٦):

«والحق أن هذه القصة من أكثر ما قرأت - وأنا أؤرخ لهذه الفترة من حياة ابن عباس في كتابي عنه - غموضاً في فصولها فقد اختلف فيها المؤرخون على أقوال لا التقاء بين ما تباعد من أطرافها، فبعضها ينفي هذه القصة نفياً باتاً ويعتبرها اسطورة من الأساطير وعلى رأس هؤلاء عمرو بن عبيد الزاهد المعروف، وبعضهم يثبتها، والمثبتون أنفسهم يختلفون، ويدخل إلى أقوالهم التناقض في أكثر من مجال، فبعضهم يتبنى إثباتها بأفطع صورها فيغالي في كثرة ما أخذ من المال، ثم في اللهجة التي راسل بها الإمام، وفي الفتنة التي ألحقها وهو خارج بأموال بيت المال من البصرة وهارب بها إلى الحجاز، وعلى رأس هؤلاء من المتأخرين الدكتور طه حسين في كتابه (علي وبنوه) معتمداً ما رواه الطبري وابن عبد ربه وأمثالهما من قدماء المؤرخين. بينما يتبنى فريق تقليل ما أخذ من المال وإبقاءه في البصرة بعد إرجاع المال والياً من قبل الإمام».

أما وجهة نظر النافين فقد عبر عنها عمرو بن عبيد وهو يرد على من ينسب له ذلك: «لا. كيف تقول هذا وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن.. وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي إلى الأموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خمس ويرشه. وقالوا: إنه كان يقبل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة هذا باطل» (٤٧)



وهنا يقول السيد الحكيم: وكلام عمرو وهذا ذو شقين اثنين مختلف معه في حسابهما، فأما ادعائه استمرار بقاء ابن عباس مع علي ثم مع الحسن فهذا من قبيل الرواية، ونحن لانملك تكذيبه فعلاً فيها، وأما الشق الثاني من دعواه فهي قابلة للمناقشة، إذ لا تلازم بين تفرغ مال الكوفة وعدم صحة القصة لجواز أن تكون يده قد امتدت الى المال حين مجيء الخراج وقبل توزيعه من قبله، والحقيقة أن هذا من قبيل الاستحسان المحض وهو أقرب إلى الاجتهاد في مقابل النص لو صح وروده في هذا المجال.

التهم الموجهة لابن عباس:

● الاتهام الأول ورد في تاريخ الطبري في حوادث سنة ٤٠ هـ في سبب شخوصه الى مكة وتركه العراق. وخلاصة هذا الاتهام أن الدؤلي بعد شجار له مع ابن عباس كتب الى الامام علي عليه السلام قائلاً: ... وان ابن عمك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك...

فكتب الإمام علي عليه السلام اليه كتاباً وآخر الى ابن عباس وتالت كتب الامام وابن عباس ومما جاء في أحد كتب الإمام:

أما بعد فأعلمني ما أخذت من الجزية، ومن أين أخذت؟ وفيم وضعت؟ فكتب اليه ابن العباس: أما بعد، فقد فهمت تعظيمك مرزأة ما بلغك أنني رزأته من مال أهل هذا البلد، فابعت الى عمك من أحببت فأني ظاعن عنه. والسلام.

ثم دعا ابن عباس أخواله بني هلال بن عامر... (٤٨)

● الاتهام الثاني ورد على لسان قيس بن سعد حينما لحق عبيد الله بن عباس بمعاوية الذي جاء لحرب الحسن عليه السلام حيث اغراه معاوية بالمال: قام قيس

فخطب في الجند قائلاً: يا أيها الناس... إن هذا وأباه، وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط: إن أباه عم النبي ﷺ خرج يقاتله بيدر... وإن أخاه وواه علي أمير المؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين. فاشترى به الجوارى، وزعم أن ذلك له حلال...» (٤٩).

● الاتهام الثالث: اتهام ابن الزبير:

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال:

«... وإن هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه (يعني ابن عباس الذي كان يسمعه) كما أعمى الله بصره، يزعم: أن متعة النساء حلال... وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس..»

هذا كلام من ابن الزبير لم يتركه ابن عباس يذهب سدًى بل تصدى له بحزم وبحجة قوية، ولكن تهمة ابن الزبير له باحتاله مال البصرة لم يردّها أو ينفىها ولكنه بين وجهة نظره فيها:

«... وأما حملي المال فإنه كان مالاً جبيناه فأعطينا كل ذي حقّ حقّه، وبقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله فأخذناها بحقنا...»

ونشير هنا إشارة سريعة إلى النتائج فقط التي توصل إليها السيد جعفر مرتضى العاملي «والتي تدل على افتعال القصة واختلاقها من أساسها» ونحيل القارئ الكريم إلى التفاصيل في كتاب ابن عباس وأموال البصرة للسيد العاملي فقد ناقش الروايات الثلاث (الاتهامات) سنداً ومنتأً.

فقد أورد السيد العاملي ملاحظاته وأدلته، التي تحكم على أن رواية الطبري (الاتهام الأول) بالوضع والافتعال. كما أنه ناقش الاتهام الثاني المنسوب إلى قيس بن سعد والمنقول عن مقاتل الطالبين، ناقشه قائلاً: فيكفي أن نشير



بالنسبة إليه إلى ما ذكره بعض المحققين^(٥٠) من أنه كلام مفتعل، قد دس في بعض نسخ مقاتل الطالبين دون بعض؛ وذلك لأن ابن أبي الحديد قد نقل كلام أبي الفرج بعينه، ولم يذكر كلام قيس هذا، وإنما قال عن قيس: «ثم خطبهم، فثبتهم، وذكر عبید الله، فقال منه، ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو؛ فأجابوه...». ونقل ابن أبي الحديد مقدّم؛ سيما ونحن نراه ينقل عن أبي الفرج بين قوله: «فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة»، وقوله «ثم إن الحسن سار في عسكر عظيم» ينقل كلاماً كثيراً ليس في نسخ المقاتل المطبوعة منه عين ولا أثر.. وابن أبي الحديد قد سمع المقاتل املاءً عن شيوخه؛ فنقله أثبت إذ يحتمل قوياً: أن تكون هوامش قد زادها النساخ في الأصل اشتباهاً..

والنقاش الثالث تمّ لرواية ابن الزبير (اتهمه) وقد توصل السيد العاملي إلى أنه مع ضعف سند الرواية فإن العبارة التي يعير فيها ابن عباس بسرقة أموال البصرة هي الأخرى مفتعلة كما أن جواب ابن عباس هو الآخر مفتعل ولم ترد العبارة المزعومة ولا جوابها عند الكثيرين من المؤرخين الذين نقلوا الرواية التي تحمل اتهامات ابن الزبير وجواب ابن عباس عنها.

كما يذكر في الهامش أن المؤرخين قد ذكروا ما عدا مروج الذهب أن القضية جرت بين ابن عباس وعروة بن الزبير لا عبد الله، ولكنها كلها تتفق في خلوها عن الفقرة التي تتهم ابن عباس بأموال البصرة، وذكر عدّة مصادر.. كما أنه ناقش الرواية سنداً ومنتناً وفنّد متنها الذي يذكر أن الزبير تزوج أسماء متعة وانها علقت بعبد الله^(٥١).. ويستبعد هذه الدعوى.

هذا وأن هناك الكثير من العلماء والمؤرخين ينفون هذه التهمة عن ابن عباس، أو تثبت أن ابن عباس بقي والياً لعلي على البصرة إلى ما بعد مقتله ﷺ نستعرض بعضاً منهم وأقوالهم:

قال ابن كثير: «... وتأمّر على البصرة من جهة علي، وكان إذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة، وزياد بن أبي سفيان على الخراج، وكان أهل البصرة مغبوطين به: يفقههم، ويعلم جاهلهم، ويعظ مجرمهم، ويعطي فقيرهم، فلم يزل عليها حتى مات علي. ويقال: إن علياً عزله عنها قبل موته...» (٥٢).

- قال ابن حجر في الإصابة: «فلم يزل ابن عباس على البصرة حتى قتل علي؛ فاستخلف على البصرة عبد الله بن الحارث ومضى الى الحجاز...» (٥٣).

- أما ابن أبي الحديد فقد قال بعد أن ذكر الكتب المتبادلة بين الإمام عليه السلام وابن عباس: (وقال آخرون هم الأقلون: هذا لم يكن ولا فارق عبد الله بن عباس علياً عليه السلام، ولا باينه ولا خالفه، ولم يزل أميراً على البصرة الى أن قتل علي عليه السلام. قالوا: ويدل على ذلك ما رواه أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني من كتابه الذي كتبه الى معاوية من البصرة لما قتل علي عليه السلام،... وكيف يكون ذلك ولم يخدعه معاوية، ويجرّه الى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيراً من عمال أمير المؤمنين عليه السلام واستلهم إليه بالأموال، فمالوا وتركوا أمير المؤمنين عليه السلام، فما باله وقد علم النبوة التي حدثت بينها، ولم يستمل ابن عباس، ولا اجتذبه الى نفسه، وكل من قرأ السير وعرف التواريخ يعرف مشاقه ابن عباس لمعاوية بعد وفاة علي عليه السلام، وما كان يلقاه به من قوارع الكلام، وشديد الخصام، وما كان يثني به علي أمير المؤمنين، ويذكر خصائصه وفضائله، ويصدع به من مناقبه ومآثره، فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك، بل كانت الحال تكون بالضد لما اشتهر من أمرهما) وبعد أن يورد ابن أبي الحديد كل هذا يقول وهذا عندي هو الأمثل والأصوب. وإن توقف أخيراً. بعد ذلك يردّ على قول الراوندي الذي يقول: المكتوب اليه هذا الكتاب (كتاب أمير المؤمنين) هو عبيد الله بن عباس، لا



عبدالله» فيقول: وليس ذلك بصحيح، فإن عبید الله كان عامل علي ؑ على اليمن، ولم ينقل عنه أنه أخذ مالاً، ولا فارق طاعة ثم يردف ابن أبي الحديد قوله هذا: «وقد أشكل عليّ أمر هذا الكتاب، فإن أنا كذبت النقل وقلت: هذا كلام موضوع عليّ أمير المؤمنين ؑ، خالفت الرواة، فإنهم قد أطبقوا عليّ رواية هذا الكلام عنه، وقد ذكر في أكثر كتب السير، وإن صرفته اليّ عبد الله بن عباس صدني عنه ما أعلمه من ملازمته لطاعة أمير المؤمنين ؑ في حياته وبعد وفاته. وإن صرفته اليّ غيره لم أعلم اليّ من أصرفه من أهل أمير المؤمنين ؑ؟ والكلام يشعر بأن الرجل المخاطب من أهله وبني عمّه» لهذا نرى ابن أبي الحديد متوقفاً في هذا بقوله «فأنا في هذا الموضوع من المتوقفين».

فانكارها - حقاً - أمر صعب «والحقيقة أن إنكار هذه القصة من الأساس واعتبارها مختلفة موضوعة كما يذهب اليّ ذلك منكروها وهم القلة في المؤرخين.. أمر تأباه طبيعة البحث الموضوعي؛ لأن هذه القضايا الكبرى في التاريخ والتي يكثر الحديث فيها لا تكون بغير منشا انتزاع غالباً» (٥٤).

كما أن الايمان بها بهذه السعة التي تستند اليّ رواية الطبري واليّ من سار عليّ ضوءها أمثال ابن الأثير وابن خلدون وابن كثير وصاحب العقد وطه حسين وغيرهم، أمر كما يقول السيد الحكيم لا يمكن الاطمئنان اليه... فابن عباس «الشخصية الفذة، الذي قام بدور رئيس في تأييد الإمام علي ؑ.. سواء في حياة الإمام ؑ أو تأييد حق علي، وحق أهل بيته بعد وفاته..

والرجل.. الذي اشتهر بصراحته المثيرة ومواقفه الجريئة.. والإنسان الذي كان - وما يزال - يتمتع بالاحترام والتقدير، وله شهرة علمية وأدبية واسعة والتي لم تكن لتكون له لو لم يكن يتمتع بالمؤهلات الحقيقية والنادرة، التي رسخت بمعطياتها هذه الشهرة الواسعة، وجسدت المثال الحي للشخصية التي تستحق كل

هذا الاحترام، وكل هذا التقدير...» (٥٥).

وكما يقول عنه طه حسين: «من العلم بأمر الدين والدنيا ومن المكانة في بني هاشم خاصة، وفي قريش عامة، وفي نفوس المسلمين جميعاً، ما كان خليفاً أن يعصمه عن الانحراف عن ابن عمّه، مهما تعظم الحوادث، وتدلم الخطوب...» وإن كان طه حسين يثبت تهمه السرقة له (٥٦).

فصاحب التاريخ العريض المليء بالأخلاق والحب والتفاني قولاً وفعلاً دفاعاً عن الإمام ومواقفه، لا يمكن لهذا الرجل أن ينسب إليه مثل هذا العمل (السرقة).

وأخيراً أرى أن ما حدث به اليعقوبي في تأريخه هو الأنسب والأقرب للصحة ونكتفي بما حدث به:

كتب أبو الأسود الدؤلي - وكان خليفة عبدالله بن عباس بالبصرة - إلى علي عليه السلام يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم فكتب إليه يقسم له بالله لتردنها، فلما ردّها عبدالله بن عباس أو ردّها أكثرها كتب إليه علي عليه السلام: أما بعد، فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً وما فاتك فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همك لما بعد الموت والسلام. فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قط اتعاطي بكلام أمير المؤمنين أو ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام (٥٧).

والنتيجة - باختصار - التي توصل إليها السيد محمد تقي الحكيم في بحثه هذا هي:

(١) الأخذ برواية اليعقوبي ففي جوها تلتقي جميع الخطوط والآراء (٥٨)...

(٢) أن ابن عباس في أخذه لهذا المال كان أخذه ينطوي تحت العنوان الأولي وهو حقّه الطبيعي في الخمس. وإن اصرار الإمام على إرجاع المال يناسب وجهة



نظره عليه السلام في أن حرمان بني هاشم من حقهم في الخمس للعنوان الثانوي أجدى على الإسلام في رأيه من تنفيذ العنوان الأولي (حق بني هاشم في الخمس) (٥٩)

٣) يؤيد هذه النتيجة قول ابن عباس نفسه رداً على اتهام ابن الزبير (على فرض صحة الرواية) من أنه أخذ البقية من المال التي هي دون حقه في كتاب الله تعالى. وما يؤيد ذلك أيضاً الرواية التي جاءت في العقد الفريد: كان عبد الله بن عباس من أحب الناس إلى عمر بن الخطاب، وكان يقدمه على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يستعمله قط، فقال له يوماً: كدت أستعملك، ولكنني أخشى أن تستحلّ الفيء على التأويل، فلما صار الأمر إلى علي استعمله على البصرة فاستعمل الفيء على تأويل قول الله تعالى ﴿واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾ (٦٠)

هذا وإن لكثير من علماء الرجال كلاماً ينصب جلّه على ما تفرّد به الكشي في رجاله، وفي كلامهم ما يؤيد نزاهة ابن عباس وبراءته من التهمة المنسوبة إليه، نستعرض بعضاً منهم.

الكشي وابن عباس:

فقد ذكر الكشي أحاديث تتضمن قدحاً في ابن عباس، ومن جملة تلك الأحاديث حديث مفارقتة للإمام علي عليه السلام، وأخذة المال من بيت المال البصرة، وكتب أمير المؤمنين وأجوبة ابن عباس عنها (٦١).

وفي ذلك يقول السيد الخوئي:

هذا الرواية وما قبلها من طرق العامة، وولاء ابن عباس لأمير المؤمنين وملازمته له عليه السلام هو السبب الوحيد في وضع هذه الأخبار الكاذبة وتوجيه التهم والطعون عليه، حتى إن معاوية لعنه الله كان يلعنه بعد الصلاة مع لعنه عليّاً

والحسينين وقيس بن عبادَة والأشتر!! كما عن الطبري وغيره وأقل ما يُقال فيهم أنهم صحابة رسول الله ﷺ، فكيف كان يلعنهم ويأمر بلعنهم؟! وراح السيد الخوئي يبين رأيه في ابن عباس بوضوح: والمتحصّل مما ذكرنا أنّ عبد الله بن عباس كان جليل القدر، مدافعاً عن أمير المؤمنين والحسينين عليهما السلام كما ذكره العلامة وابن داود (٦٢).

كما قال الشهيد الثاني في حاشية الخلاصة: جملة ما ذكره الكشي من الطعن فيه خمسة أحاديث كلّها ضعيفة السند (٦٣).

وقد ذهب السيد ابن طاووس إلى نفي كل ذلك نفيّاً تاماً، فقد قال في ابن عباس: حاله في المحبة والإخلاص لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام ومولاته والنصر له والذب عنه والخصام في رضاه والموازرة له مما لا شبهة فيه، ثم قال معرضاً بأخبار الذم، ومثل الخبر موضع أن يحسده الناس ويباهتوه:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً إنه لذميم

قال: ولو ورد في مثله ألف رواية أمكن أن تعرض للتهمة، فكيف بهذه الأخبار الضعيفة الركيلة؟! (٦٤). فكل ما ورد بخصوص قصة بيت مال البصرة وابن عباس هي أخبار ضعفها ابن طاووس.

وأما صاحب الوسائل في خاتمتها يقول عن ابن عباس: حاله في الجلالة والإخلاص لأمر المؤمنين عليهم السلام أشهر من أن يخفى، وروي فيه قدحٌ وهو أجل من ذلك (٦٥).

وفاته

توفي ابن عباس في الطائف سنة ٦٨ للهجرة بعد أن أصيب بالعمى، وصلى عليه محمد ابن الحنفية (٦٦)، فسلام عليه في الخالدين.



المصادر

- ١- الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني.
- ٢- مختصر تاريخ دمشق. ابن منظور.
- ٣- حلية الأولياء. أبو نعيم الأصفهاني.
- ٤- التاج الجامع للاصول. منصور علي ناصيف.
- ٥- العقد الفريد. ابن عبد ربه الأندلسي.
- ٦- البداية والنهاية. ابن كثير.
- ٧- الإمامة والسياسة. ابن قتيبة الأندلسي.
- ٨- أمالي المفيد. الشيخ المفيد.
- ٩- وقعة صفين. نصر بن مزاحم.
- ١٠- اخترنا لك ٣ (ثمرات النجف). قصة بيت المال في البصرة ودور ابن عباس فيها. السيد محمد تقي الحكيم.
- ١١- أكاذيب وحقائق (١) ابن عباس وأموال البصرة - السيد جعفر مرتضى العاملي.
- ١٢- مقاتل الطالبين. ابو الفرج الأصفهاني.
- ١٣- قاموس الرجال. التستري.
- ١٤- أمالي المرتضى. السيد المرتضى.
- ١٥- تاريخ اليعقوبي. اليعقوبي.
- ١٦- تاريخ الطبري. بن جرير الطبري.
- ١٧- تذكرة الخواص. ابن الجوزي.
- ١٨- وسائل الشيعة. الحر العاملي.
- ١٩- معجم رجال الحديث. السيد الخوئي.

- ٢٠- في رحاب أئمة أهل البيت. محسن الأمين العاملي.
 ٢١- علوم الحديث ومصطلحاته. الدكتور صبحي الصالح.
 ٢٢- علوم الحديث. ابن الصلاح.
 ٢٣- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي.
 ٢٤- الاستيعاب في أسماء الأصحاب.
 ٢٥- ديوان حسان بن ثابت.
 ٢٦- المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم. هدى جاسم أبوطبرة.
 ٢٧- رجال الكشي.
 ٢٨- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.
 ٢٩- أضواء على السنة المحمدية. محمود أبورية.
 ٣٠- تحف العقول. ابن شعبة الحراني.
 ٣١- عبد الله بن عباس. السيد مرتضى العسكري.

الهوامش :

- (١) الإصابة ج ٤ ص ١٢٢. مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ٢٩٣. حلية الأولياء ٣١٤.
 (٢) الإصابة ج ٤ ص ١٢٢. مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ٢٩٣. حلية الأولياء ٣١٤.
 (٣) التاج الجامع للاصول للشيخ منصور علي ناصيف ج ٣ ص ٣٦.
 (٤) الإصابة ج ٤، ص ١٢٢.
 (٥) العقد الفريد ج ٤ ص ١٢٣.
 (٦) مختصر تاريخ دمشق ج ١٢، ص ٢٩٦-٢٩٧.
 (٧) حلية الأولياء ص ٣١٤/١. مختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ٣٠٠.
 (٨) يراجع في ذلك وفي غيره - تاريخ الإسلام.. للذهبي في حوادث سنة ٦٠- ٨٠ ترجمة عبد الله بن عباس - مختصر تاريخ دمشق - البداية والنهاية .. حلية الأدباء - طبقات ابن سعد وغيرها من المصادر.
 (٩) الإصابة ٤ / ١٢٩، مختصر تاريخ دمشق ١٢ / ٢٩٣...
 (١٠) الدخول: الفساد والغيبة. البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٨ / ٣٠٥.
 (١١) البداية والنهاية لابن كثير ٨ / ٣٠٤.



- (١٢) ديوان حسان بن ثابت.
- (١٣) العقد الفريد ١٣٠/٢.
- (١٤) الهجر الهذيان، والقبائح من الكلام.
- (١٥) انظر الأمالي للشيخ المفيد ص ٣٣٠. هذه الوصية تشبه ماورد عن الإمام علي عليه السلام مع اختلاف في الألفاظ وزيادة فيها، وقد ذكرها الحراني في تحف العقول ص ١٠٥-١٠٦ تحت عنوان (موعظته عليه السلام) ووصفه المقصرين). ط ٥. منشورات مكتبة بصيرتي.
- (١٦) وقعة صفين لنصر بن مزاحم - منشورات مكتبة المرعشي. ص ٥٠٠
- (١٧) سورة محمد: الآية ٩.
- (١٨) عبد الله بن سبأ ص ١٤٤-١٤٥ للسيد العسكري.
- (١٩) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٣٣.
- (٢٠) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٣١٨، منشورات مكتبة المرعشي.
- (٢١) المصدر نفسه ص ٤١٣.
- (٢٢) المصدر نفسه ص ٥٥٠.
- (٢٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١/ ٢٧.
- (٢٤) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي ١/ ٣٥.
- (٢٥) الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي ٤/ ٢٣٤ - ٢٤٠.
- (٢٦) الأنبياء: ٣٠.
- (٢٧) فجر الإسلام ص ١٤٩.
- (٢٨) المعجم الوسيط، مادة وضع.
- (٢٩) أنظر المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم ص ٢٤٤؛ ومجلة قضايا إسلامية ٢: ٤٧.
- (٣٠) فجر الإسلام - أحمد أمين ص ٢٠٢ - ٢٠٣.
- (٣١) محمد تقي الحكيم - قصة بيت المال في البصرة... ص ٣٤٤ مقالة في ثمرات النجف.
- (٣٢) ألقت كتب في الموضوعات من الفريقين انظر أصول الحديث للفضلي ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.
- (٣٣) الإتيقان للسيوطي ٤: ٢٣٩.
- (٣٤) الإتيقان للسيوطي ٤: ٢٣٩.
- (٣٥) الإتيقان للسيوطي ٤: ٢٣٩.
- (٣٦) علوم الحديث لابي عمرو بن الصلاح: ٩٠.
- (٣٧) علوم الحديث ومصطلحاته. ص ٢٨٣.
- (٣٨) الإتيقان للسيوطي ٤: ٢٣٨.
- (٣٩) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد ربه ٣: ٥١.
- (٤٠) كتاب الاحكام للآمدي ٢/ ١٧٨ - ١٨٠.
- (٤١) أضواء على السنة المحمدية: ٧١.
- (٤٢) أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبورية ص ١٣٦.
- (٤٣) كتاب الجمل للشيخ المفيد، تحقيق السيد علي مير شريفني: ٤٢٠ - ٤٢١.

- (٤٤) كتاب الجمل للمفيد: ٤٢٠. نهج البلاغة ٤٦٥ الكلمة ٧٦. الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٠٥.
- (٤٥) الطبري حوادث سنة ٣٦ هـ.
- (٤٦) دراسة قيمة تحمل روحاً علمية منهجية قل نظيرها. تناولت هذا الموضوع بالتفصيل تحت عنوان قصة بيت المال في البصرة ودور ابن عباس فيها. انظر ثمرات النجف: ٢٣٩ - ٢٥٢ نقلاً عن مجلة النجف - السنة الخامسة - العدد السادس - شوال ١٣٨٢ / آذار ١٩٦٣ م.
- (٤٧) نقلاً عن أمالي السيد المرتضى، ج ١ ص ١٢٣، ط السعادة.
- (٤٨) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٤٠ هـ المجلد ٣ ص ١٥٤ - ١٥٥، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٤٩) مقاتل الطالبين: ٧٣ ط الشريف الرضي، قم.
- (٥٠) قاموس الرجال. التنستري ٦: ٤٣٩ باب العين.
- (٥١) ابن عباس وأموال البصرة: ٤٩ - ٥٠.
- (٥٢) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٨: ٣٠٤. مكتبة المعارف بيروت.
- (٥٣) الإصابة ٢: ٣٣٤. وانظر عدم مفارقتة للإمام أمالي المرتضى ١: ١٧٧ وقاموس الرجال ٦: ١٥، وانظر أيضاً تذكرة الخواص: ١٥٠، ٢٥٢. وتاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٥.
- (٥٤) السيد محمد تقي الحكيم - ثمرات النجف: ٢٤٣.
- (٥٥) السيد مرتضى العاملي.
- (٥٦) الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين.
- (٥٧) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٥ - دار صادر. نهج البلاغة ضبط الدكتور صبحي الصالح ص ٣٧٨ رقم الكتاب ٢٢. تحف العقول للحراني ص ١٣٨ مع بعض الاختلاف.
- (٥٨) ثمرات النجف - قصته -: ٢٤٧، ٢٥٠ - ٢٥١.
- (٥٩) ثمرات النجف - قصته -: ٢٤٧، ٢٥٠ - ٢٥١.
- (٦٠) فجر الإسلام / أحمد أمين ص ١٤٧.
- (٦١) رجال الكشي ص ٢٧٩ - ٢٨٠ حرف العين.
- (٦٢) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ١١: ٢٥٤، ٢٥٦.
- (٦٣) ذكر في كتاب (في رحاب أئمة أهل البيت) محسن الأمين ٢/ ٢٤١.
- (٦٤) ذكره صاحب رحاب أئمة أهل البيت - محسن الأمين ٢: ٢٤١.
- (٦٥) خاتمة الوسائل للعاملي ٣٠ / ٤١١.
- (٦٦) الإصابة ١: ٩٠. البداية والنهاية ابن كثير ٨ / ٣٠٥.